على هامش محاكمة العصر

عـــــودة الأمـــل لضحايـــا صـــدام

بغداد / صافي الياسري

بعد ايام قليلة من هروبه من جيش صدام بعد ان ضاقت به الدنيا عجزاً عن القيام باعباء معيشة العائلة القي القبض على المواطن سلمان كريم وساقوه إلى احد مستشفيات العاصمة، مقيد اليدين، معصوب العينين، حقن بمخدر موضعي ثم قطع جراح مهمل اذنه اليسرى تنفيذاً لاوامر الدكتاتور المخلوع.

مشكلة سلمان لم تنته عند هذا الحد فقد اكتشف الاطباء ان الامر الصادر لهم بقطع اذنه اليمنى وليس اليسرى، كما نفذوا! فعاد الجراح المهمل ودون أي اهتمام وقطع اذن سلمان اليمنى. يقول سلمان: نقلت إلى المستشفى صباحاً واستيقظت بعد الظهر لاكتشف اني فقدت اذني الاثنتين، تمنيت الموت عندها وشعرت بحزن طاغ واكتئاب لا مثيل له وموجة حقد والم.. لا اعرف كيف اصف لك مشاعري ساعتها، لم اعد اهتم بالحياة.. تمنيت الموت تمنيت لو انهم قتلوني.

وعاد سلمان إلى الجيش ليعيش تراجيديا جديدة. فهو يتعرض على الدوام للضرب والتعذيب والسخرة الصعبة والسخرية على ايدي والسنة بعض الجنود والضباط، حتى تم تسريحه عام ٢٠٠٢ تنفيذاً لقرار عفو معجزة صدر في ساعة انشراح القائد الضرورة، وامضى ايامه في منزله يعاني من احباط شديد منعه من الخروج من منزله ومزاولة الحياة العامة، فقد تجنبه الناس ولم يرض احد ان يستخدمه أو يوظفه ولم تقبل اية امرأة بالزواج منه واعتاد ارتداء غطاء الرأس الذي يغطي اذنيه، فيما ظل يأمل مع مرور كل يوم ان ينتهي عهد الطاغية، واخيراً حل ذلك اليوم وتم كنس صدام حسين.

ويقدر عدد من فقدوا اذناً كاملة أو جزءاً من اذن بنحو ٣٥٠٠ جندي عراقي، ترى هل سيحاكم الطاغية عن جريمته البشعة ضدهم، لابد من ذلك، فالعقاب الجسدي بقطع الاعضاء لم يعد ابداً من قوانين الانسانية والحضارة، وانما هو رمز وحشي

قطعوا أذنه اليسرى واكتشفوا ان الامر يقضي بقطع اليمنى فقطعوا الاثنتين

لنظام اكثر وحشية ما دام يجرؤ على بتر ايدي البشر وقطع آذانهم لمجرد انهم ارتكبوا مخالفة تخلف عن الالتحاق بالوحدة

الجراحة التجميلية تعيد الامل للضحايا

العسكرية في الموعد المقرر، امر قطع الاذن هذا اصدره الطاغية عام ١٩٩٤ فكم هو العدد الحقيقي للذين نفذ بحقهم خلال تسع سنوات؟. كان صدام يستخدم الخوف للحصول على الطاعة، لكنه في الحقيقية كان يحصد عداء شعبه وغيظه وحقده عليه وانتهازه الفرصة المناسبة للثورة وتمزيق صورة الدكتاتور الوحشي، حاول صدام بقطع الاذان وقف عمليات الهروب المتزايد من جيشه الكارتوني وفي اول محاولة لزرع هذا الخوف فقد خمسمئة جندي عراقي اذانهم في عملية وحشية كعقوبة لوقف عمليات الهروب أو اكثر قليلاً الاذن بالكامل. غير ان هذا الاجراء اثار غضباً عارماً في الداخل والخارج.

ونحن نعلم ان نظام صدام لا يهمه على الاطلاق ردود فعل الرأي العالمي ولكن شدة الهجمة الاعلامية العالمية جرت النظام إلى خسائر سياسية يهتم لها فضلاً على ان بعض الجراحين رفضوا اجراء هذه العمليات، لذا قرر النظام قطع جزء من الاذن بدلاً من قطعها بالكامل أي انه لم يتراجع عن قراره ببتر الاعضاء البشرية وبعد سقوط الطاغية بدأ ضحايا عمليات التشويه بتكوين تجمع لهم في جمعية حقوق الانسان العراقية وهم اليوم يتغلبون شيئاً فشيئاً على الاذى النفسي والجسدي الذي الحقه الطاغية بهم ويبحثون عن وظائف حيث زال العائق السياسي من امامهم، وكذلك ارتبط بعضهم بزيجات ناجحة، وبدأوا يعيشون حياة طبيعية، ويتغلبون على عقدة (الهارب ذي الاذن المقطوعة).

في العام الماضي تحول املهم في اصلاح عوقهم إلى حقيقة واعلنت مجموعة من الجراحين العراقيين تدعمهم وزارة الصحة انهم بدأوا يقومون باجراء عمليات جراحية (تجميل) مجانية لضحايا عقوبة الدكتاتور الوحشية اضافة إلى عمليات التجميل الاخرى التي تشمل ضحايا القنابل والرصاص والتشويه بالحرق والكي وترقيع الجلد.

وكان احد الرواد في اتخاذ هذا القرار الدكتور الجراح رضا علي جراح التجميل في مستشفى الواسطي. وقد اجرى حتى الآن مئات العمليات التجميلية، وقد تقدم اليوم

اكثر من ٤٠٠٠ جندي رفضوا الحرب فقطع صدام اذانهم

سلمان كريم إلى المستشفى لاجراء هذه العملية. وهو يشعر بانه انما يستعيد شيئاً عزيزاً عليه سلبه منه طاغية العصر وانه باجراء هذه العملية انما ينتصر عليه، ويقول ها انا استعيد شكل اذني من جديد بينما يحاكم الشعب جلادي.

ويقول الدكتور علي رضا: هؤلاء الناس في اشد الحاجة لاستعادة احساسهم بانهم اشخاص طبيعيون، واستعادتهم شكل اذانهم ستغير حياتهم وتعيد لها التوازن الذي افتقدوه ايام النظام المباد.

ومن المرضى الذين عالجهم الدكتور رضا علي سمير وحيد ٣٠ سنة، وكان قد فر من الجيش عام ١٩٩٤ لانه سئم خوض حرب تلو أخرى حسب تعبيره، ولأنه يريد ان يعمل وان يعيش بكرامة ولكن سرعان ما القي القبض عليه ونقل إلى احد مستشفيات بغداد حيث تكررت معه نفس التراجيديا من تقييد اليدين وعصب الاعين ثم التخدير واستئصال الاذن، ويقول سمير ان الشعور بالاذلال والغضب والحقد دفعه إلى حافة الانهيار العصبي لولا ايمانه ان الله سوف ينتقم له وقد استخدم شفرات حادة لجرح ذراعيه وصدره وجلد ذاته، عقاباً على ذنب كان قد فرض عليه، واجبر على ارتكابه. ولم يكن يشعر انه إنما كان يرتكب ذنباً، ولا تزال آثار الجراح ظاهرة على ذراعيه وصدره، ومنذ سقوط صدام ورؤية سمير له في قفص الاتهام يحاكم عن جرائم تبرعمت الابتسامة على شفتيه وبدأت حياته تتغير وحصل على وظيفة سائق لدى احدى منظمات حقوق الانسان، وحين استمع في احدى محطات الراديو إلى عمليات جراحة التجميل يقول انه شعر بفرح غامر لا يوصف وانه يستعيد كل شيء جميل في حياته وقال جئت على الفور كنت احاول كنت في اشد الحاجة لأن اكون طبيعياً من جديد، وقد اجرى فعلاً سمير عملية واحدة شملت تركيب قاعدة من البلاستك على شكل هلال في مكان الأذن اليمنى ويقوم الجراحون بتشكيل اذن جديدة فوقها مستخدمين الجلد والغضاريف المأخوذة من اجزاء اخرى من جسم سمير، وكل يوم تقريباً يذهب سمير إلى مستشفى الواسطي ليسأل الاطباء عن موعد العملية التالية ومع كل فرصة فهو ما زال يخفي مكان الاذن المقطوعة بشعره وبقبعة خاصة، ويقول اساء الناس معاملني من قبل لكن ذلك كله تغير الآن انا سعيد جداً لأني لم اقتل نفسي، كدت اموت ولكن الحمد لله على بقائي على قيد الحياة، اصبحت حياتي طبيعية الآن وانا بمنتهى السعادة.

لقد فتح الجراحون العراقيون برحمتهم ابواب الامل التي اغلقها الطاغية بوجه اولئك الذين رفضوا الحرب والقتل والقتال وان من حق هؤلاء رفع دعوى جماعية ضد الطاغية على عقوبته الوحشية الجماعية.

(المدى) في ليلة بصحراء السماوة

شاهد عيان يروي قصصاً محزنة عن اعدامات بالجملة لعوائل بأكملها!

المثنى / عدنان سمير

وسط يم من الرمال والضوء والنقاء... بين ارض حبلى باسرار الايام والسنين ورجال رحلوا وآخرين دفنوا مع السكون المريب والفراغ الرحيب.

بيداء مكتنزة بالشواهد التي نقشت عليها صفحات من الماضي وافعال تثير الأسى والشجن.

عاش في هذه الأقاصي من صحراء السماوة رجال ونساء واطفال أضحى كل منهم شاهداً على زمان عاد ثانية ليجسد قصة شعب قارع الدكتاتور.

جدران مهدمة وقبور لم تتلاش. وأرواح اضفت قدسية على المكان. فقد راحت تحت الرمال في الليالي الحالكة اجساد طاهرة وارواح نقية برصاص القتلة والمأجورين، شواهد لآلاف الضحايا الكرد. وبيوت شيدت من الحجر لتقطنها عوائل من الدجيل.

ليس بين هذا المكان والآخر سوى عبرة ترقرقت في المآقي وقلب غرق من فرط الحزن على شعب عاش خلف القضبان ثم يقتل بين كثبان الرمال والأكام.

حين وصلنا إلى ناحية بصية ٣٤٠ كم جنوب غربي السماوة في البادية الجنوبية. أنتابتنا الحيرة بم نبدأ وما نريد الأطلاع عليه. فقد غدت تلك الارض في عقد الثمانينيات ساحة مفتوحة لإعدام الابرياء من العوائل الكردية المنفية من كردستان العراق لتعتقل وتقتل في جنوبه ولم يكن شاهداً عليها غير الله وبقايا اجساد متهالكة اضفت طهراً على نقاء البيداء.

يقول السيد جبار حنون (رئيس عرفاء متقاعد من الشرطة المحلية في ناحية بصية) شاهد عيان على تلك الجرائم ابان النظام السابق - ان الدور التي جلب إليها أهالي الدجيل والمبنية من الجحر شيدت في بداية السبعينيات من قبل محافظ المثنى لأسكان البدو الرحل ومحاولة لأستقرارهم في المنطقة وعدم عبورهم إلى السعودية. غير انهم لم يستقروا فيها طويلاً بسبب رغبتهم بالتنقل المستمر من مكان إلى آخر. وظلت مهجورة مدة طويلة.

عند وصولنا اليها بعد مضي نصف ساعة من السير في العراق المتعرجة بالسيارة التي أقلتنا، وجدناها دوراً تساقطت سقوفها وجدرانها وسرقت حجارتها جراء تدميرها من قبل الطائرات الامريكية ابان حرب الخليج الثانية عام ,١٩٩١

ويستذكر السيد جبار حنون انه جاء إلى هذه الدور يوم كان في شرطة بصية ثلاث مرات أو اكثر واستدعائه من قبل رجال الامن للتحقيق في بعض المشاكل التي كانت تحدث بين اهالي الدجيل وحلها حيث كانوا يعيشون تحت ضغط نفسي قاهر وسط هذه الصحراء.

كما ان قوات الامن التي تحيط المكان كان تمنع أي انسان من الوصول إليهم ولمسافة نصف كم من البيوت.

وبعد مضي اكثر من ساعة في هذا المكان توجهنا إلى منطقة الشيحيات ٥٠ كم غربي ناحية بصية وفي الطريق قال جبار: ان العوائل الكردية كانت تحطب الاشجار لايقاد النار والاستفادة منها في الطبخ وكانت ضمن النساء نسرين برواري وزيرة البلديات والاشغال العامة عندما كان عمرها ١٤ سنة وهي مع امها و٦ من اخوتها في بيت يتكون من غرفتين ومطبخ وهول ومنار بالكهرباء وهناك آبار أرتوازية حفرت في المنطقة.

وقد جيء بالاكراد إلى دور الشيحيات في شباط ١٩٨٢ من سجن الفضيلية العائد إلى مديرية الأمن العامة في بغداد لحجزهم وكان عدد العوائل ٨٠ عائلة كردية مؤلفة من ٣٩٠ فرداً وكان منهم أرسلان بايز عضو المكتب السياسي لحزب الاتحاد الوطني الكردستاني وعائلة فريدون عبد القادر عضو الجمعية الوطنية حالياً وعائلة نعيم علي عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي وآخرون غيرهم. وقد خرجوا من الشيحيات عام ,١٩٨٦

اما بالنسبة للأكراد البرزانيين فقد جاءوا بهم في شهر شباط من عام ١٩٨٢ ايضاً وبعد ثلاثة اشهر تم اعدامهم بالكامل على بعد ٨٠ كم من المعتقل في منطقة العفايف والتي تقع شرقي ناحية بصية بمسافة ١٥ كم.

ويؤكد المواطن جبار حنون ان الحكومة آنذاك وفي نهاية عقد الثمانينيات جاءت بمجموعة من السيارات أو الحافلات مظللة صفراء اللون يبلغ عددها ٨ - ١٠ حافلات إلى الناحية وطلب مني رجال الأمن المرافقون للحافلات حبالاً لسحب السيارات، حيث أدعوا أن احداها تعطلت. وفتحت الدكان الذي أملكه وعندها رأوا (فتايل جولة) قالوا نريد هذه (الفتايل) وهي خيوط من القطن تستعمل لايقاد (الجولة) بدلاً من الحبال.. فقلت لهم انها لا تصلح لسحب السيارة فقال احدهم (أنت ما عليك)، وأخذوها ومضوا، ثم دخلوا إلى دكان (أم جواهر) وأخذوا (طول) قماش ابيض منها، وبعد ساعتين جاءوا بالسيارات محملة بالأكراد ومن مختلف الاعمار.

شاهدت رجلاً كبيراً محني الظهر وبيده سجادة صلاة نزل من السيارة وقد كان يروم الصلاة.. فصرخ به احد رجال الامن وأدخله إلى السيارة.

وكان عدد هؤلاء الاكراد يبلغ بحدود (٢٢٢٥) اعدموا جميعاً فيما بعد. وعندما جاء وزير حقوق الانسان في العام الماضي حفروا في المنطقة وانتشلوا (٥٠١) جثة وقد شاهدت (الفتايل) في ايدي قسم منهم وعندها علمت لماذا أخذها مني رجل الامن... واضاف بحسرة يا ليتني لم افتح الدكان لحظتها...

(الورقة السابعة)

الضياع في حفر الباطن

طيور الغاق

عبد الكريم العبيدي

لم يعد في ذلك التوغل اللا نهائي سوى الخضوع.. زرقة السماء بدت بعيدة وحيادية. والعواصف فرضت بهيجانها المكرر طغيانا ابدياً. وحدها الرمال كانت تشيع مواكب الضالين وتهبهم مثوى جديداً وتتركهم طلقاء.

بعد ان افرغ من محاضرته، باشر ضابط برتبة ملازم اول مع عدد من مساعديه بتوزيعنا على الافواج. وكان نصيبنا، انا والاشتر وعشرات من الجنود الآخرين هو الانتساب إلى الفوج الثالث.

رافقنا احد نواب الضباط إلى اكوام من الصفيح والخشب واكياس الرمل وأمرنا بشحن ثلاث سيارات من نوع ايفا باطنان منها.

كانت العاصفة الرملية الكثيفة التي هبت فجأة قد ضاعفت من عناء هذا العمل الشاق الذي استغرق اكثر من ثلاث ساعات. وكان الاحساس بان التحاقنا إلى خنادق الموت وما يرافقه من اعمال شاقة يجعلنا نظن باننا عبيد أو اسرى أو من ذوي الاحكام الشاقة المؤبدة.

توزعنا على العربات الثلاث وجلسنا كالقردة فوق حمولتها وراحت تهدر بنا في رمال العاصفة. وصلنا إلى مقر الفوج ظهراً وكان في استقبالنا ضابط الاعاشة ومرافقوه حيث أمرنا بتفريغ السيارات الثلاث من حمولتها ومن ثم توزيعنا عشوائياً على السرايا.

قبل المساء وصلنا إلى مقر السرية الثالثة وتم تدوين أسمائنا ثم تركونا في العراء.

بدأ الظلام يلغي ملامح السرية، وتسلل البرد إلى اجسادنا الخاوية، بينما اختفى الجنود في ملاجئهم. شعرنا كما لو اننا كلاب في قرية آوى كل اهلها إلى بيوتهم.

كان الأشتر اكثرنا هيجاناً، مسكني من يدي وراح يطوف حول الملاجئ. كان يطل برأسه من ايما فتحة في جدار، أو يتقرفص فجأة عند الباب وهو يردد: "خايبين ولا أوحيد من أهل العمارة. كطع بينه الجوع الله ولحد. وين اهل الرحم، كطيعة.."

لم ييأس، ظل يقتحم الملاجئ. ملجأ تلو آخر، حتى سمع احدهم يهتف من داخل احد الملاجئ: "ولكم هذا صوت مالك، خايب اشجابك؟" خرج جندي اسمر نحيف وتعانق مباشرة مع الاشتر، قبله كثيراً، ثم دعانا إلى ملجئه.

في تلك الليلة، تذوقنا لأول مرة طعاماً ساخناً، كان طبقاً من الحساء المسلوق. وشربنا ماء من فوهة ابريق قذر، ثم احتسينا "شاياً من كوب بلاستيكي".

كان الملجأ صغيراً جداً لا يسع ساكنيه الثلاثة. وكان واضحاً ان وجودنا يشكل عبئاً كبيراً عليهم. ولكنهم بينوا ان ليلة واحدة لا تضر، ملمحين إلى وجوب حفر ملجأ لنا في صباح الغد.

لم أنم في تلك الليلة ايضاً. كنت اتقلب على بطانية قذرة قرب كومة من البساطيل. وكانت رائحة جسدي مقرفة جداً، ولم افكر بخلع حذائي الذي لازم قدمي على مدار الايام الثلاثة الماضية، خشية انتشار الروائح. كنت احك جسدي وشعر رأسي بطريقة مقرفة، وتنتابني حالة من الاختناق وسط دخان السراج، فاشعر بحرج من نظرات الجنود التي كانت تتابع حركاتي.

لم المس رغبة منهم باطالة الحديث والسهر بعد العشاء. ولكنهم كانوا يحرصون على سماع الاخبار من راديو صغير كان بمعية احدهم. وكانوا يحللونها بجهل ويتندرون كثيراً من حالة التعبئة التي كانت تعج بها برامج اذاعة بغداد!

في الصباح حصلنا على مجرفة وتناوبنا انا والاشتر على حفر ملجأ صغير، ليس بعيداً عن ملجأ قريبه الذي ضيفنا البارحة.

بدت الارض رخوة ورطبة في طبقاتها الاولى، ولكنها راحت تزداد صلابة وقسوة وتكشف عن عشرات الانواع من الحصى النادرة والغريبة في الوانها واشكالها.

كنت اتلذذ بجمع تلك الحصى وتنظيفها، وكان الاشتر يسخر من هوايتي الطارئة، ويعجب من شغفي ولهوي الغريب.

في عصر ذلك اليوم الصحراوي فرغنا من حفر الملجأ وبدأنا باحاطته باكياس الرمل وتغطيته "بالجينكو"، ثم كسونا سقفه بطبقة سميكة من الرمل. وقبل حلول الظلام، جلسنا انا والاشتر في داخل ملجئنا، كلانا يحدق في وجه صاحبه، وبقلب ملامح ليلة جرداء جديدة وسط رطوبة الملجأ وجدرانه العارية.

حقاً، لقد صنعنا ملجأ. ولكننا لم نتمكن من تأثيثه، وبالتالي فهو لا يصلح للسكن... هل قمنا اذن طيلة ذلك النهار بعمل مجد؟..

فاجأنا قريب الاشتر بزيارة مباغتة ودعانا إلى ملجئه.. لبينا دعوته، طالما ان لا مناص منها، ولكننا اكتشفنا في تلك "التعلولة" ان حياة جنود السرية هي حياة "اميبية"، مطمورة في النسيان، خارج الازمنة.

قريب الاشتر قال: لا توجد سيارة قصعة ولا حانوت. وليس هناك تعيين ولا وجبات أكل ولا طعام مجفف. ولم يتم تجهيز الفوج بالملابس الشتوية ولا الافرشة. وان كل ما يمكن ان يحصل عليه الجندي في هذه الصحراء هو "طاسة من الدقيق الاسمر"، وهو حر في ان يلتهمه أو يعجنه أو يذره في الهواء!.

قريب الاشتر اضاف: مقطورة الماء تأتي بين يوم وآخر فتندلع معركة حقيقية في فجر ذلك اليوم.ولا يحصل على جلكان ماء إلا "الزلمة الخوشي الطالع من ظهر ابيه"... ثم ختم حديثه قائلاً: السرية تحكمها علاقات القرابة والمحافظة والولاء المذهبي والقبلي.

وقبل ان نشعر بما يشبه الانهيار، ابتسم قريب الاشتر وقال: غداً في الصباح سترون العجائب في هذه الصحراء، وسيبدو لكم كل ما سمعتموه حتى الآن مجرد مزحة!

بدت تلك الندب اللاهثة في اعالي السماء شديدة الاثارة. وكان هبوطها المترجرج، كسرب غير مألوف في سماء تجردت عن كل شيء عدا زرقتها يثير الدهشة.. يكفي انها ايقظت في اعماقنا مشاهد اسراب طيور الغاق والحمام والنوارس، وغرست في جفاف ذلك الصباح، تكهنات عن وجود حياة ليست بعيدة عنا.

كان السرب يقترب ويكرر اشكاله في ذلك الهبوط الآخاذ، وكنت على يقين انني اتلذذ برؤية طيور ضلت طريقها، أو ضللها السراب، فدنت من سريتنا. ولذلك سألت الاشتر لأضفي على احساسي نوعاً من اليقينية: ما اسم هذه الطيور؟ .. لم يرد، ظل وجهه جامداً وهو يحدق فيها باستخفاف.. سألته بلهفة وبشيء من الانفعال: هذه الطيور، هل هي قادمة من المريخ؟.. لم يبد اكتراثاً، رمى عصا صغيرة كانت بيده، وقبل ان يعود إلى الملجأ، التفت نحوي وقال ببرود: هذه ليست طيور!

كان ينظر اليها بعين ابن الهور المشبعة بالخضرة والماء والمشاحيف، وكانت صدمة احساسه بتلك الصحراء اكبر من سرعة احكامي وتلهفي..

عدت احدق في الطيور مرة اخرى، محاولاً اكتشاف شيئ جديد فيها، ولكن دنوها السريع احالها إلى اوراق بيضاء صغيرة، راحت تتناثر فوق الملاجئ والخنادق وسط دهشتي، وربما خيبتي...

هرعت نحوها، وجمعت الكثير منها وجلست اطالع بسرعة سيل الانذارات الصارمة التي احتوتها.. ادهشتني كثرة ارقام واسماء الفرق العراقية المدرعة والالوية المتجحفلة معها والتي خيرت ما بين الانسحاب أو الموت.

قلت: اذن هي مناشير، ورحت اعيد قراءتها اكثر من مرة..

((إلى افراد الفرقة (.......)، ستقوم قوات التحالف بتدمير جميع القطعات العسكرية التي تعترضها في هذا المكان. ننصحكم بترك مواضعكم حفاظاً على ارواحكم و........)).

انتشر الكثير من الجنود في رمال الصحراء لجمع تلك المناشير كما لو انهم يجمعون الكمأ. وحين حملوا العديد منها إلى ضابط التوجيه السياسي فوجئوا برده السريع عليها...

كان قد استيقظ للتو، وبدأ بتناول فطوره، وحين تكدست امامه المئات منها، قلب احد المناشير باستخفاف ثم رماه في الهواء، وقال مخاطباً عدداً من الجنود الذين تدافعوا قرب باب الملجأ: استخدموا هذه الاوراق في تحضير الشاي، هيا انصرفوا!